ALSUNIYAT: Jurnal Penelitian Bahasa, Sastra, dan Budaya Arab, Vol. 4, No. 2, Oktober 2021
DOI: https://doi.org/10.17509/alsuniyat.v4i2.38724

alsuniyat

JURNAL PENELITIAN BAHASA, SASTRA, DAN BUDAYA ARAB
P-ISSN: 2615-7241 | E-ISSN: 2721-480X // Vol. 4 No. 2 | 129-150
https://ejournal.upi.edu/index.php/alsuniyat/index

ابن زيدون وتقاليد الشعر الأندلسي

Arina Haque, Iffat Maimunah, Wildana Wargadinata
Universitas Islam Negeri Maulana Malik Ibrahim Malang, Indonesia
E-mail: arinahaque.id@gmail.com

Abstract:
Andalusian literature is still a great legacy of Islamic civilization in modern times. The discussion of Andalusian literature is still an exciting topic in the Arab literary scene in the modern era. There are many great legacies of Arabic literature that have not been widely studied by academics in Indonesia, especially Arabic literature reviewers. One of the Andalusian literary figures is Ibn Zaidun. Even the fame of Ibn Zaidun in Andaluasi to get the nickname Buhtury from the West. This paper tries to review Andalusian Arabic literature in general and, in particular, the literary tradition of Ibn Zaidun with the background of Andalusian civilization. Using a literature review approach, this paper explains the socio-cultural background of Ibn Zaidun in building a tradition of Arabic literature in the West (Andalusia). This paper shows the significant role of Ibn Zaidun in building an Arabic literary tradition with a local Andalusian style. This literary tradition is even recognized as having a literary quality that is not inferior to Arabic literature in Arab civilization.

Keywords:
Arabic literature; Andalusian literature; Ibn Zaidun; Literary tradition

ملخص

لا يزال الأدب الأندلسي إرثًا كبيرًا للحضارة الإسلامية في العصر الحديث. و أصبح الحديث عنه موضوعًا مثيرًا للاهتمام في المشهد الأدبي العربي. هناك العديد من الموروثات العظيمة للأدب العربي التي لم تتم دراستها على نطاق واسع من قبل الأكاديميين في إندونيسيا، وخاصة مراجعي الأدب العربي من الشخصيات الأدبية الأندلسية ابن زيدون. حتى أن شهرة ابن زيدون في الأندلس حصل على لقب بحتوري من الغرب. تحاول هذه الدراسة مراجعة الأدب العربي الأندلسي بشكل عام، وعلى وجه الخصوص التراث الأدبي لابن زيدون على خلفية الحضارة الأندلسية. باستخدام منهج البحث المكتبي، تشرح هذه الدراسة الخلفية الاجتماعية والثقافية لابن زيدون في بناء تراث الأدب العربي في الغرب (الأندلس). توضح هذه الدراسة الدور الكبير لابن زيدون في بناء تراث أدبي عربي على الطراز الأندلسي المحلي. حتى أن هذا التقليد الأدبي له صفة أدبية لا تقل عن الأدب العربي في قلب الحضارة العربية.

الكلمات المفتاحية:
الأدب العربي; الأدب الأندلسي; ابن زيدون; تقاليد الشعر

مقدمة

يلعب الأدب دورًا مهمًا في التاريخ، حيث يلعب التاريخ أيضًا دورًا مهمًا في حياة الإنسان (Alghamdi and Achour, 2020). يصف كل عمل أدبي مشاكل مختلفة للحياة البشرية في المجتمع ويصف أيضا عن تنفيذهم في الالتزامات تجاه الخالق (Widyahening and Wardhani, 2016). إضافة إلى ذلك أن الأدب في كونه وصف عن القصة الخيالية أو النتيجة لخيال المؤلف، يمكن فهم محتويات الأعمال الأدبية وحقيقتها هي انعكاس للتقاليد التي بناها المؤلف في عصره (Damono, 2011). وهناك تعريفات متعددة عن الأدب، ولكن عموما اتفقوا بأن الأدب هو فن التعبير الجميل (Wargadinata, 2011) والذي كونه وصف الخبرة أو الأفكار الإبداعية للمؤلف أو يمكن أيضًا أن يكون معبرا عن الفرح والسعادة أو العزاء لقلب حزين، كما أن الأدب يعتبر أيضا الأنشطة اللغوية تتمتع بها الناس مثل المناظرة التي يكون فن أصيل للثقافة العربية و أرقى سبل الإقناع و المحاورة (Maturedy et al., 2021). والأدب ينقسم إلى قسمين أساسيين هما الشعر والنثر. والشعر هو الألفاظ الجميلة الموزون والمقفى، وفيه استعمال الألفاظ في غير موضعها وبذلك يتميز الشعر عن غيره من المؤلفات، وأما النثر فهو الألفاظ الجميلة غير الموزون والمقفى(Wargadinata and Fitriani, 2008).

وباعتبار الأعمال الأدبية المنتجة في عصر الأندلس، فقد أثبت أن الأندلس يقدم تاريخًا قيمًا للغاية، ويُعترف به كجزء من ثروة الأدب العربي في الشرق الأوسط (Hidayah, 2013)، هذه نتيجة انعكاس الأحداث التي حدثت في الأندلس، مثل الأحداث الإجتماعية التي أثرت على إبداع الشخص في اللغة والأدب (Wargadinata and Maimunah, 2021; Francomano, 2002). لهذا، اشتهر في الأندلس أحد الأدباء اسمه ابن زيدون، وهو الأديب البديع حيث من أجله أظهر في العصر الأندلسي تقاليد الشعر إلى أن تكون هذه التقاليد ذات قيمة كبيرة حتى يتمكن من خلال أعماله الأدبية من إثبات وجود أعمال أدبية في العصر الأندلسي.

أصبحت تقاليد الشعر بين العرب هي التحقيق على إسهامات قيمة والتي تظهر أن العرب قد وصلوا إلى ذروة فن التلاعب بالألفاظ و الكلمات العربية (Wargadinata, 2008)، أي الشخص الذي قادر أو بارع في صنع أعمال أدبية بكلمات جميلة ممتازة يعتبر "فكرياً" و"ثقافيا" (Murata and Chittick, 2005). وهذا هو الحال أن حقيقة تقاليد الشعر التي نمت وتطورت بين العرب تتضح من تقاليدهم في التنافس على إنتاج أفضل عمل في الأدب العربي (Wargadinata and Fitriani, 2008). كما نجح ابن زيدون، الذي أصبح رائدًا في التقاليد الأدبية، أيضًا في تطوير التقاليد الأدبية من خلال أعماله الضخمة، باعتباره فخل من فخول الشعراء الأندلسية.

اشتهر ابن زيدون بكونه أديبا ضخما، ومن خلال فطانته أنه شارك كثيرا في مجال السياسة الأندلوسية، مما جعله شخصية فكرية ضخمة في الأندلس. وأما التقاليد الأدبية التي تم بناؤها بنجاح باهر هي الوصف عن الأحداث والأنشطة التي مر بها المجتمع الأندلسي، لذلك لا شك في أن الأعمال والتقاليد الأدبية التي ألفها الشاعر الكبير ابن زيدون هي التقاليد والثقافة والحضارة الضخمة والتي كانت محفورة في الأندلس (Asriyah, 2016).

تتجه الدراسات السابقة حول الأدب الأندلسي إلى الدراسات التاريخية الأدبية كما فعل الباحث (Siregar, 2016)، أنه قال إن الحركة التي حدثت في الأندلس كانت ثورية على نمط العلاقات والتأثير المتبادل بين المسلمين والسكان الأصليين في الأندلس من حيث الدين واللغة. وأيضا هناك التركيز على الدراسات الأدبية في جوانب المحتوى الأدبي والمضموني، مثل الدراسة التي قامت بها هداية (Hidayah, 2017)، وهي ترشدنا أن المجتمع الأندلسي المعقد يأتي من أعراق وديانات مختلفة، فالظروف الطبيعية الجميلة للأندلس تؤثر في ظهور نوع جديد من الأدب الأندلسي (Bacich, 2002)، إلى أن تكون هذه الأنواع الأدبية الجديدة غير معروفة في المشرق مثل "مالا لوزوم" يلزم أو مواشاة أو معارضة. بالإضافة إلى ذلك، وبسبب الجمال الطبيعي الذي نراه في الأندلس، فإن أحد الأعمال الأدبية الشهيرة في الأندلس هو "شعر طبيعي"، وهو العبارة عن القصيدة التي تصف حالة الطبيعة في صامت وصائت، وهذا تصدر عن مشاعر الشاعر من خلال خيال الشاعر (Alam and Hadiyanto, 2020)، مثل شريفة(Sarifah, 2020) أنها قد بحثت فى مقالتها عن الاقتباس فى شعر ابن جابر الأندلسي، والإقتباس هو جزء من علم البديع الذي يجعل الكثير من الشعراء العرب يستشهدون بالقرآن بسبب الجمال واختيار الألفاظ التي تجعل الشعراء مفتونين بجمال أسلوب اللغة. بالإضافة إلى ذلك، إلى جانب تطور الحضارة الإسلامية في الأندلس، أصبحت اللغة العربية وآدابها في الأندلس في ذلك الوقت هي اللغة الإدارية للحكومة الإسلامية، وفي النهاية تم قبولها من قبل المجتمع الأندلسي من المسلمين وغير المسلمين (Samsir, 2009).

تهدف هذه الدراسة إلى استكمال أوجه القصور في الدراسات الأدبية الأندلسية التي تدرس جوانب الأدباء الأندلسيون التي نجحت في بناء التقاليد الأدبية رغم أن فوضى الحضارة وظروف المجتمع الأندلسي في ذلك الوقت لم تدعم بشكل كامل في إنجاز الأعمال الأدبية. بناء على الدراسات الأدبية التي نمت وتطورت في المنطقة الأندلسية وما زالت تتطلب اهتماما كبيرا لدراستها بمزيد من البيان والتفصيل. وبناءًا علي ذلك يمكن صياغة هذه الدراسة على النحو التالي: الأول، ما هي العوامل التي دفعت ابن زيدون إلى بناء تقاليد

الشعر في الأندلس؟، والثاني، كيف خلفية حياة ابن زيدون وتأثيره في الأدب العربي؟، والثالث، ما هي خصائص تقاليد الشعر لابن زيدون في الأندلس؟.

تستند هذه الدراسة إلى الحجة القائلة بأن ابن زيدون هو الأديب الضخم في منطقة بعيدة عن مركز الحضارة العربية، ليس مجرد شخصية فكرية ولكن الأعمال الأدبية العربية التي أنجزها وبناها ابن زيدون أظهرت إسهاما قيمًا حتى تظهرنا أنه أديب ذو شخصيات نبيلة. وأما نجاح وتمام بناء تقاليد الشعر في الأندلس فتبدو أن الأعمال الأدبية لابن زيدون هي التراث الأدبي الخالد عبر الزمان، لذلك تتطلب هذه الدراسة إلى الدراسة المستمرة، لأن أعمال ابن زيدون الأدبية قادرة على تمثيل البناء المجيد للحضارة الإسلامية.

منهج البحث

نوع البحث لهذه الدراسة هو البحث المكتبي، حيث تجعل هذه الدراسة المجتمع الأندلسي كموضوع البحث وتحصر موضوع الشعر في الديوان عن موضوع تقاليد الشعر لإبن زيدون. تستخدم هذه الدراسة المعايير التاريخية لصحة البيانات ويسعى إلى استكشاف المعنى والنوايا الضمنية للشعر الأندلسي. يحتوي هذا البحث على البيانات في شكل نص أو جمل وأدلة تاريخية.

ومصادر البيانات الرئيسية أو الأساسية في هذا البحث صدر عن طريق القراءة والملاحظة في كتاب بعنوان ديوان ابن زيدون (رسائله، أخباره، شعر الملكين). هذا الديوان هو جمع وتقديم الشرح عن ديوان ابن زيدون من قبل كامل الكيلاني وعبد الرحمن خليفة. وقد يكون أول النشر لهذا الديوان عام ١٣٥١هـ (٩٣٢م) رقم ٤٧٤ للناشر مصطفى باب الحلبي والأدبي في مصر، ويتكون هذا الديوان من ٤٥٥ صفحة وتحتوي على مقدمة وشرح سيرة تاريخية لابن زيدون وأهل الأندلس، ثم تليه مجموعة قصائد مصنفة قائمة على أساسها (Kailani and Khalifah, 1932).

و أما تقنيات جمع البيانات في هذه الدراسة فتتكون من اثنين هما: طريقة القراءة وطريقة التسجيل. لذلك تكون قراءة ديوان ابن زيدون بدقة هي الخطة والملاحظة الأساسية في هذا البحث، وتخص عن قراءة موضوع تقاليد الشعر لإبن زيدون والمناقشات حول الأدب الأندلسي. وبعد قراءة ديوان ابن زيدون بدقة فيكون عرض البيانات وصفا عن نتائج الدراسة.

الأندلس والعوامل الجغرافية والحضارية والسياسية الدافعة في بناء تقاليد الشعر

الأندلس هو اسم دولة إيبيريا (Iberia) الإسلامية التي أطلقها الإغريق للدولة التي شهدت ذروة الحضارة

الإسلامية. وأطلقوا عليها اسما آخر وهو إسبانيا (Spania)، فلما دخلها الرومان صار الاسم (Hispanin)، في رأي بعض المؤرخين هو مشهور باسم الإسبان. هذا الاسم مأخوذ من كلمة ذات أصل فينيقي. وهذا الاسم "الأندلس" له صلة باسم قبائل الوندال التي سكنت البلاد بعد الرومان. تغير الاسم من (Vandalas، أو Wandalos) واتخذ من العربي و أطلق عليه الأندلس، أو بلاد الأندلس. انتشر الاسم على نطاق واسع بعد الفتح الإسلامي. مهما كان اسم إسبانيا تماما وهو بالتأكيد صار الإسم الذي يستخدم شائعا في الأدب العربي و المؤلفات العربية، والأندلسية، والمغربية، والمشرقية، إما في الوثائق، والتواريخ، والرحلات وكتب الجغرافية الأخرى (Ad-Dayah, 2000).

و أكد المؤرخون أن الأندلس قد اشتهر بأحواله الممتعة، حيث هذه الأحوال تكون عوامل أساسية لبناء تقاليد الشعر النامية في الأندلس. هذا العالم الجغرافي مما يثير الأدباء لوصف الأندلس وأنحاء من أوربا الغربية والشرقية، حيث وصفوا كذلك رحلات لهم كثيرة (Dhaif, 1119). مما لا شك في أن العرب بطبيعتهم رحالة، فكان طبيعيا أن يولعوا بالرحلات ويصحبهم الإبداعيات في تأليف الأدب الذي يصف عن أحوال الجغرافية وجمال الأندلس. أخذت الأندلس تخطو خطوات واسعة في الحضارة (Prince 2002) ، خاصة في الحضارة المادية، وساعدها على ذلك ثراؤها لوفرة الأنهار فيها والثمار والضرع والزرع والبساتين وكثرة المعادن، ولاحظ ذلك كل من زارواها من رحالة المشرق فقالوا إن خيراتها كثيرة وليس بها شحاذ ولا متسول، وهيا هذا الثراء فيها وما كان يجنبه حكامها من الضرائب للتفنن في بناء القصور. وهذه الحضارة الضخمة تتأثر كثيرا للفنان والأدباء في تحضير إبداعياتهم وعرضوا في الكلمات الإبداعية. مثل شعراء الأندلس الذين اهتموا بالموضوعات الشعرية التقليدية. فانتشرت وراجت أشعار المدائح والتهاني (Farhat, 1994). تهدف هذا النوع من القصيدة إلى التعبير عن السرور والحب تجاه الحضارة والأشخاص الذين قدموا مساهمات أو الذين يحظون باحترام كبير.

السياسة في الأندلس حين ذاك تنمو وتتطور كتطور السياسة في عهد الخليفة الإسلامية. وأكد التاريخ أن الحكم الأموي عهد الولاة في الأندلس عام ٧١٠—٧٥٥ م واستمر حتى عام ١٠٣٠ م. فتعاقب ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان على الحكم بعد المؤسس عبد الرحمن الداخل. الأمراء متعدد في الأندلس وهم هشام بن الداخل، الحكم بن هشام الربضي، عبد الرحمن بن الحكم، محمد بن عبد الرحمن، المنذر بن محمد بن عبد الرحمن، عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن، ثم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد الذي لقب بالناصر لدين الله. وهذا الأخير من الأمراء ويكون الأول من تسمى بأمير المؤمنين، لأثر مقتل الخليفة العباسي، المقتدر بالله على يد مؤْنس (Kailani and Khalifah, 1932). بعد الأيام، وصلت

الدولة الأموية إلى ذروة رونقها وذروة عظمتها ونهاية حكمها. واستمر هذا العهد خمسين عاما ، أي ٩١٢-٩٩٢ م ، واصل الحكم بن الناصر سيرة والده ، ليحفظ ما حققه والده حتى وفاته عام ٩٦٧ م (Farhat, 1994).

ظل عدد من الحكام الذين قادوا البلاد إلى الإنحلال. أولهم هشام بن الحكم الذي استأثر بالحكم على أيامه العامريون. وهم المنصور محمد بن أبي عامر وولده عبد الملك المظفر وعبد الرحمن. مع نهاية حكم العامريين، بدأ في الأندلس ما يعرف بـ "عهد الفتنة" واستمر حتى سقوط الأمويين عام ١٠٣٠ م. وتولى الحكام الضعفاء مثل محمد بن هشام بن عبد الجبار وسليمان بن الحكم وعبد الرحمن بن هشام ومحمد بن عبد الرحمن المستكفي وهشام بن محمد الذين أطيح بهم لسوء سياساتهم وماتوا في ظروف غامضة. شؤون الدولة. وبذلك انتهت الدولة الأموية في الأندلس وبدأ عهد ملوك الطوائف (Farhat, 1994).

بالنسبة إلى سقوط الدولة الأموية فتبدو الأسباب التي أثرت عليها، وهي كما يلي:

أ. وجود العداوة بين العرب والبربر، و بدأت تلك العداوة في عهد الولاة. وكانت هذه العداوة سياسية واجتماعية واقتصادية ومن أسباب هذه العداوة هي امتيازات العرب وغبن البربر.

ب. وجود تنوع الأجناس البشرية، اجتمعت في الأندلس أجناس وطوائف كثيرة متنوعة. وهي عرب، بربر، صقالبة، يهود، إسبان، وما إلى ذلك. ولم تكن الظروف تساعد على تفاعلهم الكامل، مما تخلق بيئة أقل تجانسا. وهذا ما أفسح المجال للصراع الذي جسد الدولة. لذا فإن الجشعين في الداخل و الخارج يستغلون هذه الإختلافات لتحقيق ما يريدون.

ج. كان أحد الأسباب المباشرة لسقوط الخلافة هو العدد الكبير من الطلاب من العرش الأموي ، ولم تعد سلطة الحكام متماسكة. ثم وجهت السيدة المميزة وجهها بعيدًا عن أبناء البيت الملك بعد ما أدركت مدى ضعفهم.

وبعد أن قتل آخر خليفة أموي، اتفق وجهاء قرطبة وأقاموا حكومة الجماعة الارستقراطية تحت رئاسة أبو الحزم بن جهور (Farhat, 1994). كان ابن زيدون من زعماء تلك الفتنة التى زلزلت دولة بني أمية ودولة بني حمود والعليبين. وانتهى الأمر بالقضاء عليهم جميعا، وقيام ملوك الطوائف على انقاضهم. وكانت سن ابن زيدون وقت الثورة ثمانيا وعشرين سنة (Kailani and Khalifah, 1932).

بعد انهيار الدولة الأموية أصبحت الأندلس دويلات متعددة. لكل دولة أمير وجيش وحياة مستقلة.

كان كل حاكم مهتمًا بالاتفاق على الأموال لبناء الحصون واستخدام المرتزقة. بدأ الأقوياء بمهاجمة الضعفاء ، الأمر الذي خلق تحالفات مؤقتة بين الدول الصغيرة للتعامل مع القوى الكامنة ، ثم فقد الأمراء القدرة على توحيد الموقف وساروا في وجه الأخطار الخارجية. وقد رضي بعض الحكام، في الممالك القريبة من الحدود الرومانية، تكريم الملوك الرومان لإسكاتهم. في النهاية اختار الأمراء المالك الروماني في صراعهم الداخلي. وتجدر الإشارة إلى أن الأندلس تحولت في ذلك العهد إلى أقوى ملتقى شمال وجنوب ، وأصبحت هدفًا لغزو روماني أو غزو للمغرب. والغريب في شؤون ملوك المذهب أنهم يقسمون ألقاب الخلافة ، فيتميزون بالثقة والموافقة والمظفر والمأمون (Farhat, 1994).

بما يزهدني في أرض أندلس #ألقاب معتضد فيها ومعتمد

ألقاب مملكة في غير موضعها # كالهر يحكي انتفاخا صورة الأسد

كانت الدولة العامرية من الدويلات التي قامت في ذلك العهد. وهي دولة موالي العامريين في ألمرية. منهم بنو طاهر في مرسبة التي استولى عليها السيد القنبيطور مدة من الزمن، وخيران العامري وزهير العامري في ألمرية. وقد انتهت الدولة العامرية على يد المرابطين سنة ١٠٩٠م (Farhat, 1994). قامت دولة بني زيري، الصنهاجية، في غرناطة ومالقة. أسسها حبُّوس بن ماكسن الذي استولى على قبرة وجيان. وخلفه ابنه باديس الذي استولى على مالِقة. وألقي شؤون الدولة إلى وزيره اليهودي ابن النغزالة (أو النغريلة) كما خضع لنفوذ النساء في القصر. وقد ثار أبناء غرناطة بابن النغرالة وقتلوه. ولما توفي باديس خلفه حفيده عبد الله بن بلقين الذي أزاله المرابطون سنة ١٠٩٠م (Farhat, 1994).

في مدينة بطليوس نهض بالأمر بنو الأفطس، من البربر، ومن حكامها المشهورين المظفر والمتوكل، وقد أزال المرابطون دولتهم سنة ١٠٩٤م. في طليطلة برزت الدولة الذنونية (بنو ذي النون) التي أسسها اسماعيل بن ذي النون الملقب بالظافر. وخلفه ولده يحي الملقب بالمأمون. وانتهت باستيلاء الأدفونش (ألفونس)، ملك قشتالة (كستيليا) على طليطلة سنة ١٠٨٥ م. في سرقسطة قامت الدولة اليهودية (بنو هود) بعدما أسسها سليمان بن هود. وقد تقسم أولاده المملكة ووقعوا في نزاع طويل وحروب داخلية. وبرز المقتدر بن سليمان الذي استعان بالسيد القنبيطور على إخوته. وقد أزال المرابطون دولتهم سنة ١١٠٩م (Farhat, 1994). كانت الدولة العامرية، التى فيها عاش ابن زيدون، والدولة الحمودية قامت في مدينة قرطبة في عهد الأمويين. وبعد انتهاء الحكم الأموي نهض بالأمر بنو جهور من اسياد المدينة فأسسوا الدولة الجهورية. ومن حكامها أبو الحزم

بن جهور ثم يأتى بعده ابنه أبو الوليد. وقد سقطت قرطبة في يد العباديين، بعد مضى أربعين سنة على قيام الدولة الجهورية (Farhat, 1994).

أما أشهر الدويلات وأقواها الدولة العبادية، التي أسسها بنو عباد اللخميون. اعتقد بعض المؤرخين إنهم من وُلْد النعمان بن المنذر بن ماء السماء. ولعب أبو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد دورا كبيرا في قيام هذه الدولة والذي انفرد بحكم مدينة إشبيلية وأدار شؤونها حتى وفاته سنة ٤٣٦ هـ (١٠٤٤ م). فتولى أمر إشبيلية من بعده، ولده أبو عمرو عباد الذي تلقب بالمعتضد بالله. فوسع دولته وأصبحت تمتد من شرقي الوادي الكبير حتى المحيط الأطلسي. وشهدت إشبيلية في عهده نهضة بارزة فكثرت فيها القصور كما كان المعتضد أديبا يتذوق الشعر ومحبا لذوي المعارف. وقد توفي سنة ٤٦١ هـ (١٠٩٩ م). فتولى الحكم من بعده ابنه أبو القاسم محمد بن عباد الذي لقب بالمعتمد على الله. وقد تلقى المعتمد دروسه في بلاط والده. وكان الشاعر ابن زيدون من معلميه، فتخرج أديبا شاعرا. وبتدبير من ابن زيدون نفسه استولى على مدينتي مرسية وقرطبة. وقد اضطر إلى دفع الجزية لملك قشتالة. ولما تعاظم خطره استعان بالمرابطين وعاهلهم يوسف بن تاشفين. فاستجاب المرابطون وعبروا إلى الأندلس سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) (Farhat, 1994).

حياة ابن زيدون وتأثيره في الأدب العربي

ابن زيدون هو أحد الشعراء والأدباء الذي صدر عن لسانه الأشعار التي تظهر عن تنمية الأدب العربي، رغم أن الأندلس بمسافته بعيدا عن بلدان العربية. لكن بحضور إبن زيدون أصبح الأدب العربي كائنا حيا وذلك لا يخلو من كيان الأحوال التي دفعت إلى تقديم الأشعار التي تفوق كل الأشعار. واسم إبن زيدون الكامل هو أبو الوليد أحمد بن عبدالله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي، ينتهي نسبه إلى بني مخزوم من بطون قريش. ولد في قرطبة سنة ٣٩٤ هـ (١٠٠٤ م) في بيت من بيوت العلم والأدب وهو في بيت أبيه من بني المخزوم النبيلة (Ghazali, 2004). كان اسم "ابن زيدون" سمي لثلاثة أشخاص في أسرة المخزوم المجيدة، وهم: ابن زيدون نفسه، الذي نبحث عنه في هذا البحث، وكنيته أبو الوليد؛ وأبوه وهو "عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون" وكنيته أبو بكر، وكان هو فقيها بقرطبة؛ وابنه "أبو بكر بن زيدون" الذي تولى بعد وفاة أبيه وزارة المعتمد بن عباد وقتله يوسف بن تاشفين، بعد أن استولى على ملك بني عباد سنة ٤٨٤ هـ (Kailani and Khalifah, 1932).

و بدأت حياة ابن زيدون في خلافة هشام الثاني في زمن الدولة العامرية، أي أنه ولد في عهد هذه الخلافة يعنى في أول عهد المظفر ابن المنصور وبعد سنة واحدة من موت المنصور بن أبي عامر (Kailani

(and Khalifah, 1932). وكان هشام بن الحكم ابن المنصور هو الذي خضع لنفوذ العامرين وحكمهم. وكانت الدولة العامرية هي الدولة لبني عامر بالأندلس (Farhat, 1994).

و مما يلي البيان التفصيلي عن حياة ابن زيدون وتأثيره في الأدب العربي:

١– حياته الثقافية

ولد ابن زيدون في بيئة متحضرة، وكان أبوه من وجهاء قرطبة وهو غني و فقيه في زمانه، فتعلم ابن زيدون من أشهر الأدباء والمربين في عصره. لكن والده مات عندما كان ابن زيدون في الحادية عشرة من عمرهم فاهتم به جده لأمه. وكان جده لأمه من العلماء الذين تسلموا القضاء وأحكام الشرطة والسوق بقرطبة (Ghazali, 2004). فتثقف ابن زيدون ثقافة حسنة ونظم الشعر باكرا. جعل جده يغرف من بحر التراث العربي بوساطة علماء كبار من شيوخ قرطبة ومؤدبيها. وتسنى له ذلك الأخذ من علوم العربية لتمتعه بموهبة أدبية وبذكاء حادّ (Ghazali, 2004). انتشرت العلوم والآداب في حياته، وكان الأمراء يتنافسون في تعزيزها، وأصبح الاهتمام بالمكتبات امرة بارزة، فاشتغل الأندلسيون بكتب المشارقة دراسة ومعارضة. وهذا ما ساعد على اشتهار عدد من العلماء والفلاسفة أمثال الكرماني في الرياضيات وابن جبيرول في المنطق والطب، وابن السيد البطليوسي وابن باجة في الفلسفة وعلم النبات.

والمملكة العبادية التي عاش في كنفها ابن زيدون عرفت عددا من الشعراء كما أن القاضي المؤسس للدولة كان بتلؤق الشعر وينظمه، وكذلك ولده المعتضد الذي وصلتنا منه ابيات ومقطوعات تشير إلى تعمقه في مجال الشعر، ومن أقواله الرقيقة في وصف مجلس انس وليل أقنا فيه شرب مدامة إلى أن بدا للصبح في الليل تأثير وجاءت نجوم الصبح تضرب في الأجي فولت نجوم الليل والليل مقهور نحزنا من الذات طيب طيبها ولم يغنا هم ولا عاق تكدير خلا أنه، لوطال، دامت مسرة ولكن ليالي الوصل فيهن تقصير (Farhat, 1994).

٢– سجن ابن زيدون

بدأت هذه القضية من أحوال غير واحد. قد كان ابن زيدون في حب ولَّادة. ولكن ابن عبدوس في حبها أيضا لا قلَّ ولا ضعيف. فهو وأحزابه وشوا به عند ابن جهور، فسجنه لأن أبا الحزم بن جهور، الذي كان في زعمهم، هو رجل ورع، ويؤثر القوى والزهد. ولا يقبل أن يرى إلى خليعا ماجنا كإبن زيدون. ونسي هذا الفريق من مؤرخي الآداب أن ابن عبدوس نفسه كان مغمسا في حب ولادة. وكان أكثر من ابن زيدون خلاعة ومجونا إن كان لا بد من هذا التعبير الذي ارتضاه مؤرخو الآداب. فليس من الانصاف أن يطلق اسم الماجن المستهتر على مثل ابن زيدون. فقد كان اذا قورن بغيره من شعراء عصره وشعراء العصور الأخرى أبعد

عن هذه الصفة إلى ألصقها به مؤرخو الآداب (Kailani and Khalifah, 1932).

لقد سجن ابن زيدون وزير ابن جهور وكان معرضا للقتل. وسجن ابن عمار، وزير المعتمد وقتل. وسجن غيرهما من الأدباء والشعراء الذين استوزرهم ملوك الطوائف. والأسباب من سجنهم وأكثر قتلهم فقط لأن هذه التهمة، وهي التأمر على قلب الملك والطمع فيه. لقد كان ابن زيدون شابا في مقبل عمره، وكان قريب عهد بالثورة التى دعا إليها آل جهور. وكان أقرب شيء الى هذه النفس الشابة الفتية المتوقدة عزما ووهما. والتى ظفرت بالوزارة في مستهل حياتها السياسية أن تطمح إلى ماهو أبعد من الوزارة. رقد كان ابن زيدون كثير السفارات، وكان موفقا محبوبا من ملواك الطوائف ذائع الشهرة في عصره (Kailani and Khalifah, 1932)

٣– حب ولَّادة

قد أحب ابن زيدون ولَّادة بنت المستكفي، وهي من نساء قرطبة الجميلات وشاعرة مجيدة. وكان أبوها الخليفة الأموي الذي خلعه أهل قرطبة، فانتقل إلى الثغر، ومات هناك بطريقة غامضة. جعلت ولَّادة مجلسها ملتقى الشعراء وأهل الأدب. يقول ابن بسَّام، صاحب كتاب "الدخيرة في محاسن أهل الجزيرة" في ولَّادة: "كان مجلسها بقرطبة منتدى الأحرار العصر وفناؤها ملعبا لجياد النظم، يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب إلى حلاوة عشرتها" (Farhat, 1994). وقد عشقها ابن زيدون وجرت له معها أخبار مشهورة، فكانت ولادة تداعبه بهجائها أو تضرب له موعدا كقولها:

ترقب إذا جنَّ الظلام زيارتي # فإني رأيت الليل أكتَم للسر

وبي منك ما لو كان بالبدر ما بدا # وبالليل ما أدجي وبالنجم لم يسر

وكانت بين ابن زيدون وابن عبدوس اختلافات كثيرة لانزاكهما في حب ولادة، فأخذ يكيد له ابن عبدوس هو وأصحابه الاقون على ابن زيدون عند أبي الحزم حتى غبروا عليه قلبه وسجنوه بتهمة الامر على قلب الملك واعادته إلى بني أمية كما سنقل داع في رسالة نامة (Kailani and Khalifah, 1932). وكان الوزير أبو عامر بن عبدوس الملقب بالفار ينافس ابن زيدون على قلب ولادة. فاغتنم الجفوة وراح يتودد إليها، مما جعل الغيرة تدبَّ إلى قلب ابن زيدون. وبعدما تصالح الحبيبان أرسل ابن عبدوس امرأة إلى ولادة تستميلها إليه. فبلغ ذلك ابن زيدون فكتب عن لسانها رسالة مهشورة في سب ابن عبدوس والتهكم به. ومما ورد في الرسالة، "أما بعد أيها المصاب بعقله المورَّط بجهله البَيِّن سقطه العاثر في ذيل اغتراره الأعمى عن شمس نهاره، فإنك راسلتني مرسلا خليلتك مرتادة مستعملا عشيقتك قوادة..." فاشتد العداء بين الرجلين واستطاع ابن

عبدوس مع أعوانه أن يوقع بين ابن زيدون وابن جهور الذي اتهم ابن زيدون باختلاس رجل ذمي وبالخيانة. فسجنه ولم تنفع قصائد الاعتذار (Farhat, 1994).

وقد فر ابن زيدون من السجن، ثم اتصل بأبي الوليد بن جهور الذي تسلم الحكم بعد موت أبيه. فجعله وزيره وممثله لدى الملوك. وخوفا من أن يقع مع الابن ما وقع مع الأب ترك ابن زيدون قرطبة، على أثر جفوة مع أميره، واتصل بالمعتضد بن عباد أمير إشبيلية. ثم أغري ابنه المعتمد الذي خلفه باحتلال قرطبة. فاغتنم المعتمد استنجاد عبد الملك بن ابي الوليد به ضد ابن ذي النون ليستولي على قرطبة ويضمها إلى مملكته وينقل كرسي ملكه إليها الاعتذار (Farhat, 1994).

وقد أنشأ ابن زيدون في سجنه كثيرا من القصائد الرائعة والرسائل البليغة. وحاول أن يستعطف ها اين جهور متوسلا إليه تارة بابنه أبي الوليد وتارة بغبره من أصدقائه. فلم تلف شكواه أذنا صاغية على أن السجن لم ينس ابن زيدون حبه ولادة فنظم فيها نخبة من أروع قصائده. ولما يئس من عفو أبي الحزم، لجأ إلى الفرار من السجن، ولم ينس ولَّادة التي كان يهيم يحبها. ولكنها أغفلته واشتعلت عنه بحب ان عبدوس. على أن ابن زيدون لم ينسها طول حياته، وما زال ينظم الأشعار متغزلا بها، شديد الحنين إلى أيام وصالها وظل حبها المعين الثرار الذي لاينضب. وما زال يلهمه أروع خواطره الثائرة وعواطفه المتأججة. وكان من أكثر الأسباب في وصول ابن زيدون إلى مرتبة الزعامة بين شعراء الغزل الممتازين (Kailani and Khalifah, 1932).

وبقي ابن زيدون إلى جانب المعتمد حتى اضطربت الأحوال في إشبيلية، فأرسل المعتمد ولده الحاجب وابن زيدون لتهدئتها. وكان شاعرنا كبيرا في السن مريضا، فاشتدت عليه وطأة الحمى وتوفي في إشبيلية ودفن فيها سنة ٤١٣ هـ (١٠٧٠ م). ترك ابن زيدون ديوانا شعريا في الغزل والرثاء والوصف والشكوى والعتاب والمديح والاعتذار، وما إلى ذلك (Kailani and Khalifah, 1932).

ولما مات ابو الحزم عاد ابن زيدون إلى قرطبة وانضم إلى أبي الوليد وقام بالسفارة بينه وبين ملوك الطواف. فأعجبوا به وتمنوا استشار هم به لبراعته وحسن سيرته وتمكن من دولة ابن جهور وابتسمه الحظ ثانية حتى افد الحاد ماصلح. وخشي ابن زيدون أن يلقى من الابن مالقي من الأب من النكال والسجن، ففر هاربا من قرطبة. وظل ينتقل في أرجاء الأندلس من رنده إلى بإداجوز إلى اشبيلية أخيرا حيث اتصل بعباد اين محمد صاحبها الملقب المعتضد (Kailani and Khalifah, 1932)

خصائص تقاليد الشعر لابن زيدون في الأندلس

لإبن زيدون أشعار المدائح والتهاني الكثيرة. المدح هو الثناء على ذي شأن بما يستحسن من

الأخلاق النفسية، كرجاحة العقل والعدل والعفة والشجاعة. وأن هذه الصفات عريقة فيه وفي قومه. وتعداد محاسنه الحلقية كالجمال وبسطة الجسم وشاء المدح عند ما ابتذل الشعر واتخذه الشعراء مهنة. ومن أوائل مداحيهم زهير والنابغة والأعشى. وتعريف المدح والتهنئة جاء في لسان العرب، المدح هو نقيض الهجاء، وهو حسن الثناء. والصحيح أن المدح مصدر، والمدحة الاسم والأمدوحة، والجمع مِدَح. وهو المديح والجمع المدائح والأماديح. والممادح: ضد المقابح. والمديح في الاصطلاح غرض من أغراض الشعر، يقوم على فن الثناء، وتعداد مناقب الإنسان الحي، وإظهار آلائه، وإشاعة محامده وفعاله التي خلقها الله فيه بالفطرة، والتي اكتسبها اكتسابا، والتي يتوهمها الشاعر فيه(Mukhtar and Irfan, 2002).

لهذا المدح معاني وأنواع حسب تقاليد المجتمع وعرفهم في الإنشاد. وأهم المعاني في المدح هـ الشجاعة، وإغاثة الملهوف، وحماية الجار، وكرم الأرومة، ونقاء العرض، والوفاء بالذمم، وسعة الصدر، والحزم في غير عنف، والحلم في غير ضعف، والكرم الذي يتبتى بصور كثيرة، والشهرة وحصافة الرأي، والصبر على صروف الدهر، والمجد التليد، والترف والسرف. أن الشعراء لم يكونوا متساوين في تناول هذه المعاني، لأن طبيعة الممدوح كانت تفرض على الشاعر أن يختار من هذه الفضائل مايصلح للممدوح. لذلك قسم المدح وفق شخصيات الممدوحين والفضائل التي يوصفون بها إلى ثلاثة أنواع: الشكر، والإعجاب، والمدح السياسي. أحد الشعراء يؤثر نوعا، والآخر يميل إلى نوع آخر. أما التهنئة هو موضوع الشعر قريب مع المدح، فيكون نوع مت أنواع المدح (Mukhtar and Irfan, 2002)

مما لا شك في أن ابن زيدون له إنجازات عظيمة في الأدب العربي، ومن بعض خصائص العمل الأدبي الذي حصل عليه ابن زيدون هي:

١. المدح

لم يختلف شعر المديح في الأندلس عن الشعر المديح في المشرق من جهة وفرة دواعيه، وكثرة شعرائه، فقد كانت الدولة الأموية مقصداً لشعراء الأندلس، بأمرائها وخلفائها وحكامها ورجالها، وغيره من الأقطار. إن الشعر القديم الذي صدر عن شعراء المراحل الأولى من التاريخ الأندلسي قليل. ولكنه يدل على هذا الذي نذهب إليه من استمرار هذا التيار من الأغراض الشعرية ووجود الشعراء المجحودين (Ad-Dayah, 2000). فمن الأشعار المدائح لإبن زيدون هو "في مدح المعتضد" وقال مدح ابن زيدون المعتضد بالله المنصور بفضل الله:

لِلحُبِّ في تِلكَ القِبابِ مَرادُ

لَو ساعَفَ الكَلِفَ المشوقَ مُرادُ
لِيَغُر هَواكَ فَقَد أَجَدَّ حِمايَةً
لِفَتاةِ نَجدٍ فِتيَةٌ أَنجادُ
كَم ذا التَجَلُّدُ لَن يُساعِفَكَ الهَوى
بِالوَصلِ إِلّا أَن يَطولَ نِجادُ
أَعَقيلَةَ السَربِ المباحَ لِوِردِها
صَفوُ الهَوى إِذ حُلِّيءَ الوُرّادُ
ما لِلمَصايِدِ لَم تَنَلكِ بِحيلَةٍ
إِنَّ الظِباءَ لَتُدَرّى فَتُصادُ

في شعره الآخر مدح المعتضد بالله المنصور بفضل الله أبا عمرو عاد بن محمد بن عباد، وذكر بعض مواقف له مع خاصته أصفيائه والمناوئين له من أعدائه:

لِيَهنِ الهُدى إِنجاحُ سَعيِكَ في العِدا # وَأَن راحَ صُنعُ اللَهِ نَحوَكَ وَاِغتَدى
وَنَهجُكَ سُبلَ الرُشدِ في قَمعِ مَن غَوى # وَعَدلُكَ في اِستِئصالِ مَن جارَ وَاِعتَدى
وَأَن باتَ مَن والاكَ في نَشوَةِ الغِنى # وَأَصبَحَ مَن عاداكَ في غَمرَةِ الرَدى
وَبُشراكَ دُنيا غَضَّةُ العَهدِ طَلقَةٌ # كَما اِبتَسَمَ النُوّارُ عَن أَدمُعِ النَدى
وَدَولَةُ سَعدٍ لا اِنتِهاءَ لِحَدِّهِ # إِذا قيلَ فيهِ قَد تَناهى تَوَلَّدا

التهنئة

اشتهر ابن زيدون بعدد من المواهب الشخصية والأدبية، وهذه الشخصية نموذج لتكامل هذه المواهب والخصال في نتاجه الأدبي من جهة، وفي حياته العملية من جهة ثانية. وقد بقي لنا من آثاره الأدبية ديوان شعر، ورسالته وهي الجدية والهزلية، ونشف أخرى من رسائله، وهي على قلتها تسوغ له المكانة المرموقة التي وصل إليها في زمانه، والتي احتفظت بها ذاكرة التاريخ السياسي والاجتماعي والأدبي في الأندلس والمشرق معا (Ad-Dayah, 2000).

لم يكد ابن زيدون ينعم بالعودة إلى مدينته المحبوبة قرطبة حتى اضطر إلى الذهاب لإشبيلية لعمل يتعلق بوظيفته، سنة (٤٦٣ هـ)، ولكنه أصابه بمرض في هذه الرحلة، وتوفي. وخلفه ابنه أبو بكر عند بني

عباد تمثل ما كان لوالده من تقدير وتكريم. فكانت ثقافة ابن زيدون واسعة، ومعرفته كبيرة: علمه أبوه (ت ٤٠٥ هـ) وكفله جده لأمه أبو بكر محمد بن إبراهيم بن سعيد القيسي (ت ٤٣٢ هـ) فأخذ عنه، وأفاده شيوخ، فيهم أبو العباس أحمد بن عبد الله بن ذكوان (ت ٤١٣ هـ) وأبو بكر مسلم بن أحمد القرطبي الحوي (ت ٤٣٢ هـ)؛ وأساتذة آخرون، إضافة إلى قراءات ابن زيدون الخاصة في مكتبات الأسرة، وفي مصادر العلم والمعرفة الغزيرة في مدينة قرطبة العريقة، وإلى دروس العلم التي كانت تلقى في المسجد الجامع بقرطبة، وبالزهراء، وألمح د. ضيف (٣) إلى موارد ثقافة ابن زيدون فقال: إنه من صنع قرصية وجامعتها، وما كان يلقى فيها من الدروس و ضروب التعليم إذ كان يختلف – كغيره من شباب عصره — إلى العلماء والأدباء هناك فينهل من معارفهم وثقافاتهم وبأخذ من آدابهم وعلومهم ما يصقل به لسانه ويشحذ فكره، وفي ذلك يقول مفاحراً: وتجذني علم توالت فنونه كما يتوالى في النظام سخاب عالج ابن زيدون عدداً من الأغراض الشعرية: – فأوسع فنون شعره: الغزل والنسيب، والمديح؛ ومعه شيء من الاستعطاف والاعتذار (Ad-Dayah, 2000)

و من شعره في التهنئة:

أَيُّها الظافِرُ أَبشِر بِالظَفَر # وَاِجتَلِ التَأييدَ في أَبهى الصوَّر
وَتَفَيَّأ ظِلَّ سَعدٍ تَجتَني # فيهِ مِن غَرسِ المنى أَحلى الثَمَر
وَرِدِ الصُبحَ فَكَم مُستَوحِشٍ # غَرِضٍ مِنكَ إِلى أُنسِ الصَدَر
كانَ مِن قُربِكَ في عَيشٍ نَدٍ # عَطِرِ الآصالِ وَضّاحِ البُكَر
كُلَّما شاءَ تَأَتّى أَن يَرى # خُلُقَ البِرجيسِ في خَلقِ القَمَر
فَثَوى دونَكَ مَثوى قَلِقٍ # يَشتَكي مِن لَيلِهِ مَطلَ السَحَر
قُل لِساقينا يَحُز أَكؤُسَهُ # وَلِشادينا يَصِل قَطعَ الوَتَر
حَسبُنا سُكرٌ جَنَتهُ ذِكَرٌ # دونَهُ السُكرُ الَّذي يَجني السَكَر
لَم يُغادِر لي سَقامي جَلَداً # مَعَ أَنّي لَم أَزَل ثَبتَ المِرَر

هذه الأبيات من الشعر تعبر عن تهنئته للظافر بعد قدومه من السفر. و يمدح عن خلقه كالبرجيس في الأخلاق و في الخلق كالقمر. و البرجيس و المشترى أحد الدراري الخمسة: مشترى، زهل، و المريخ و عطارید و الزهرة. و هذه الكواكب الخمسة هي الخنس الكنس المذكورة في قول الله تعالى: فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ (Kailani and Khalifah, 1932).

٢. الغزل

و كان ابن زيدون أخذ في تأليف الأدب العربي الذي عرض عن الغزل، فمن خصائص شعر الغزل عند ابن زيدون أنه لم يتخذ شكلاً واحداً. إذ لم تكن القصيدة على وتيرة معينة من حيث طولها وقصرها وعدد أبياتها والبحور التي يستخدمها. إننا لا نجد تناسقاً في أشكال القصائد من طول ومن قصر. فهناك المقطوعات الصغيرة القصيرة الستي يعبر فيها الشاعر عن لحظة انفعالية معينة دون أن يكون ذلك ساحة لعرض أفكار كثيرة أو جوانب متشابكة.. فموقف ما من المواقف، أو إحساس من الإحساسات يرصده الشاعر فيعبر عنه بسرعة ويكتفي تما صنع؛ وإنا لنجد ظاهرة غلبة المقطوعات على القصائد في المرحلة الأولى بشكل خاص، فنحن لا نظفر بقصيدة كاملة في هذه المرحلة كلها؛ كما نلاحظ تفشي هذه الظاهرة بشكل واضح في شعر المرحلة الثالثة.

أما شعره الذي تردد فيه بين الأمل واليأس وكان يحاول به إرضاء ولادة، فنجد فيه القصائد الطوال التي تلائم مثل ذلك الظرف من دفاع ومناقشة وبسط لمعاني الغزل الكثيرة. ونلاحظ أيضاً أن هنالك القصائد والمقطوعات الخاصة بالغزل أي التي تنفرد بموضوع واحد. وهذا كثير في شعر ابن زيدون، غير أننا نلمح أن الشاعر كان يتحدث عن ولادة ويتحدث إليها في ثنايا الأغراض الأخرى كالمديح وشعر الاستعطاف ووصف الطبيعة، وغير ذلك من الموضوعات. ولتأخذ نماذج سريعة على هذا: في إحدى قصائده في السجن قال: ما حال بعدك لحظي في سنا القمر إلا ذكرتك ذكر العين بالأثر ولا استطلت دماء النيل من أسف إلا على ليلة شرت مع القصر.

وكتب في رسالته الجدية التي رفعها إلى أبي الحزم بن جهور أبياتاً منها: الهوى في طلوع تلك النجوم والمنى في هبوب ذاك النس سرنا عبشنا الرقيق الحواشي لو يدوم الشرور للمستدي إلى أن يقول طارقاً غرضه الأصلي: أيهذا الوزير ها أنا أشكر والعصا بده قرعها للحليم.

كما أننا نلاحظ أن الشاعر تحدث عن ولادة في أثناء حديثه عن مدينة قرصية وفي أثناء وصفه للطبيعة ومن الأمثلة البارزة على ذلك قصيدته القافية التي مطلعها إني ذكرتك بالزهراء متا والأفق طلق، وجه الأرض قد راقا ويلاحظ أيضاً أن ابن زيدون في هذا خافظ على ظل قري للمقدمات الغزلية المألوفة، ولكنه كان يشرعها بشكل خاص، ويتحدث فيها عن حب حقيقي وشرية ذاتية واضحة وللاحظ أن بعض القصائد، وخاصة في شعر المرحلة الثانية امتازت بشيء من الطول الظاهر الواضح كما في قصيدته (أضحى التنائي) .(Ad-Dayah, 2000)

فيكون ذكرى ولادة لابن زيدون، هو:

إني ذكرتك بالزهراء مشتاقا # والأفق طلق ومرأى الأرض قد راقا
وللنسيم اعتلال في أصائله # كأنه رق لي فاعتل إشفاقا
والروض عن مائه الفضي مبتسم # كما شققت عن اللبات أطواقا
يوم كأيام لذات لنا انصرمت # بتنا لها حين نام الدهر سراقا
نلهو بما يستميل العين من زهر # جال الندى فيه حتى مال أعناقا
كأن أعينه إذ عاينت أرقي # بكت لما بي فجال الدمع رقراقا
ورد تألق في ضاحي منابته # فازداد منه الضحى في العين إشراقا
سرى ينافحه نيلوفر عبق # وسنان نبه منه الصبح أحداقا
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا # إليك، لم يعد عنها الصدر أن ضاقا
لا سكن الله قلبا عق ذكركم # فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملي نسيم الريح حين سرى # وافاكمُ بفتى أضناه ما لاقى
لو كان وفى المنى في جمعنا بكمُ # لكان من أكرم الأيام أخلاقا
ياعلقي الأخطر الأسنى الحبيب إلى # نفسي إذا ما اقتنى الأحباب أعلاقا
كان التجاري بمحض الود مذ زمن # ميدان أنس جرينا فيه أطلاقا
فالآن أحمد ماكنا لعهدكمُ # سلوتمُ وبقينا نحن عشاقا

هذه الأبيات من الشعر تعبر عن شوق ابن زيدون إلى ولادة بنت مستكفي و هو يحبها كثيرا و لكنها لم تلبي حبه، عندما وصل ابن زيدون إلى مدينة الزهراء تذكر ابن زيدون ولادة فاحتاج الشوق إليها، بسبب جمال المدينة و الهواء المنعش في المساء فيها و الأرض تكسوها الخضرة و الأزهار (Farhat, 1994).

٣. الرثاء

و أما شعر الرثاء أم المعتضد الذي ألفه ابن زيدون فهو:

أَلا هَل دَرى الداعي المثَوِّبُ إِذ دَعا # بِنَعيِكَ أَنَّ الدينَ مِن بَعضِ ما نَعى

وَأَنَّ التُقى قَد آذَنَتنا بِفُرقَةٍ # وَأَنَّ الهُدى قَد بانَ مِنكِ فَوَدَّعا

لِرُزئِكِ تَنهَلُّ الدُموعُ فَمِثلُهُ # إِذا حَلَّ وَدَّ القَلبُ لو كانَ مَدمَعا

لَقَد أَجهَشَ الإِخلاصُ بِالأَمسِ عَلَيكِ كَما حَنَّ اليَقينُ فَرَجَّعا باكِياً

وَدُنيا وَجَدنا العَيشَ في غَفَلاتِها # طَريقاً إِلى وِردِ المَنِيَّةِ مَهيَعا

نُعَلِّلُ فيها بِالمنى فَتَغُرُّنا # بَوارِقُ لَيسَ الآلُ مِنها بِأَخدَعا

أُصِبنا بِما لَو أَنَّ هَضبَ مَتالِعٍ # أُصيبَ بِهِ لَاِنهَدَّ أَو لَتَضَعضَعا

مَنارٌ مِنَ الإيمانِ لَم يَعدُ أَن هَوى # وَحَبلٌ مِنَ التَقوى وَهى فَتَقَطَّعا

وَشَمسُ هُدىً أَمسى لَها التُربُ مَغرِباً # وَكانَ لَها المِحرابُ في الخِدرِ مَطلَعا

لَئِن أُتبِعَت مِنّا غَمامَةَ رَحمَةٍ # لَقَد ظَلَّلَت ذاكَ السَريرَ المرَفَّعا

سَريرٌ بِأَملاكٍ وَزُهرِ مَلائِكٍ # إِلى جَنَّةِ الفِردَوسِ راحَ مُشَيَّعا

لِتَبكِ الأَيامى وَاليَتامى فَقيدَةً # هِيَ المزنُ أَحيا صَوبُهُ ثُمَّ أَقشَعا

هذه الأبيات من شعر الرثاء ترث عن وفاة أم المعتضد، و هي زوجة صاحب إشبيلية المعتضد بن عباد. و هو الذي ساعده في الحروب بعد تهمة الميل إلى المعتضد من أبي الوالد بن جهور، صاحب قرطبة سنة ٤٤١ هـ. . وتحدث ابن زيدون في هذا الرثاء عن فضائل أم المعتضد و المدح عنها و الحزن بفراقها و التعبير عن مدى الإخلاص و فقدها (Farhat, 1994).

٤. الرسالة الجدية والرسالة الهزلية

كانت رسالة ابن زيدون الجدية والهزلية هي من خصائص تقاليد الشعر العظيمة، والتي أوردها ابن زيدون لها أثار بالغة في حياة ابن زيدون. والذي تبين على هذه الحقيقة أنها تبادله في شبابه الحب مع الشاعرة ولادة بنت الخليفة المستكفى واتصال هذا الحب بينها قترة ثم هجرها له إلى الأبد ما لاحظته من

مغازلته إحدى جواريها، وقبل بل بسبب نقده وشهابه الحب مع الشاعرة ولادة بنت الخليفة المستكفى واتصال هذا الحب بينها فترة ثم شعراء الغزل في الفصل الرابع، وقلنا هناك إن حادثين كبيرين اثرا في حياته، أولها تبادله ابن زيدون هو احمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي، القرطبي، وقد مرت ترجمته بين بعض شعرها، وقد يكون للسببين جميعا. وظل ابن زيدون يبكى حبها ووصلها طويلاء وكلفت بعده بشخص كان يختلف مع غيره من شباب قرطبة إلى منتداها هو ابن عبدوس، وهر موضوع رسالة ابن زيدون الهزلية.
والحادث الكبير الثاني الذي كان له تأثير في حياته هو سخط ابى الحزم جهور امير قرطبة عليه والزج به في غياهب السجون مما جعله ستعطفه مرارا إلى أن عفا عنه ورد إليه حريته بشفاعة ابنه أبي الوليد، وفي استعطافه كتب رسالته الجدية، وحرى بنا أن نتحدث عن الرسالتين جميعا؛ الهزلية والجدية (Dhaif, 1119).

كتب ابن زيدون الرسالة الهزلية على لسان ولادة إلى ابن عبدوس منافسه في حبها منهكا به ساخرا منه سخريات لاذعة، وما يمضى القارئ فيها حتى يشعر بوضوح أنه استوحى فيها رسالة التربيع والتدوير للجاحظ التي سخر فيها من كاتب معاصر له أحمد بن عبد الوهاب كان يكثر من ذمه وثلبه، فوصفه بأنه مربع مدور، وظل في نحو خمسين صفحة من القطع الكبير يخلع عليه صورا ساخرة من الجمال وصورا أخرى ساخرة من المعرفة، تتخذ شكل اسئلة في تاريخ العرب والأمم القديمة وفي العلوم كيمياء وغير كيمياء وفي الحيوان والجهاد وفي الفلسفة والمنطق مع سؤاله عن أساء كثيرين من الرجال عربا وغير عرب في ميادين الثقافات المختلفة. وكأن ابن زيدون رأى أن يجاريه في رسالته، إذ مضى على شاكلته يكثر من أسماء الرجال وما يتصل بهم من التاريخ والأخبار والأحداث، مع محاولته الواضحة في أن يكون لرسالته ساتها الخاصة لا في طريقة عرضه لأسماء الرجال بها فحسب، بل أيضا بما أكثر فيها من ضرب الأمثال ونثر الأبيات وجلب الأشتر.

ويظل ابن زيدون يورد على ابن عبدوس رجالا وأعلاما تاريخيين عديدين، مدعيا أن جميعهم تصرفوا عن إرادته محاولين الزلفي إليه من مثل أردشير ملك الفرس القديم وجديمة الملك العربي الجاهلي. ويقول له إن شيرين زوجة ابرويز نافست اينته بوران قبه وفى حسنه، وكليبا إنما حمى حماه بعزته، ومهلهلا اخاه إنما طلب ثأره بهمته، وحاتما إنما جاد بأمواله والشليك بن السلكة العداء الجاهلي إنما عدا على قدميه، وسحبان البليغ إنما كان يتكلم ببيانه، وأن الحجاج إنما تقلد ولاية العراق بحظه، والمهلب القائد الأموى إنما ظفر بالخوارج الأزارقة بقوته. وليس هناك فيلسوف لليونان أو عالم لهم — ويعددهم – إلا صدر عن فكره، وبالمثل ليس

للعرب مفكر ولا فيلسوف مشهور إلا منحه القدرة على ابتداعه، وما بلغاؤهم بالقياس إليه ؟ إن عبد الحميد الكاتب باري أقلامه وسهل بن هرون مدون كلامه والجاحظ مستمليه، وبالمثل الفقهاء الكبار.

كتب ابن زيدون هذه الرسالة الجدية يستعطف بها أبا الحزم جهورا أمير قرطبة حين ألقى به في غياهب السجن ووراء قضبانه، لما قيل من تهمه عقارا لبعض مواليه، وقيل – وهو الأصح – بل لما دس عليه عند جهور من اشتراكه ضده في مؤامرة فاشلة، وظل يدبج فيه القصائد ويرسل إليه الشفعاء، وهو لا يعفو عنه ولا يصفح، قديح له هذه الرسالة الرائعة مستهلا لها.

وابن زيدون – في مطلع رسالته – يسترحم جهورا مستعطفا، فطالما أنى عليه وطالما ظن انه سيسيع عليه نعمه، فإذا هو ينزل به عقابا أليا. ويتجلد للنكبة، ويحاول أن يسرى عن منه وتخال كأنه يد أدماها سوارها او جبين عضه تاجه أو سيف ركزه صاقله في الأرض او رمح سواء على النار صانعه، ويمنى نفسه بأن نكبته سحابة صيف ستنجلى ويعود إلى سياء الود الصحو والصفاء. وإذا كان عطاء جهور على ثنائه ومديحه أبطأ فإن أبطأ الدلاء فيضا أغزرها وأثقل السحاب مسيرة في السماء أملؤها، وأنفع الغيث ما صادف أرضا محدبة، والذ الشراب ما صادف نفسا ظامئة، ويستمر فيهون من ذنبه مخاطبا جهورا.

ويظل ابن زيدون إلى نهاية الرسالة يستعطف أبا الحزم جهورا كي يرد إليه حريته، ويضيف إليها قصيدة استعطاف بديعة، ويختمها بقوله لجهور: «هب ذنبا لحرمة، واشفع نعيمة بنعمة، ليتأتى لك الإحسان من جهاته، وتسلك إلى الفضل من طرقاته». والرسالة تكتظ بالأمثال وبالأحداث التاريخية في عهود الرسل وفي الإسلام، كا تكتظ باقتباسات من القرآن الكريم والأشعار مع حل كثير منها، ومع رهافة الشعور ودقة الحس وصفاء الذوق في انتخاب ذلك كله وفى اختيار الألفاظ والتنسيق بينها تنسيقا بديعا. ولكثرة ما في الرسالة من أمثال العرب ووقائع التاريخ والأشعار احتاجت إلى الشرح وشرحها الصفدي، وسمى شرحه «تمام المتون شرح رسالة ابن زيدون» وواضح من كلمة المتون التي اختارها اسا لكتابه أنه شعر أن الرسالة تشبه المتون لكثرة ما فيها من الأمثال وغير الأمثال، مما يحتاج إلى تفسير وفضل بيان، وهي –كأختها السالفة – آية بديعة من أيات النثر الأندلسي.

الخلاصة

وصلت هذه الدراسة الى النتائج التي تبين أن التراث الأدبي لابن زيدون له علاقة وثيقة بخلفية الحضارة الأندلسية، و هي تحتوي على العوامل الجغرافية و العوامل الحضارية و العوامل السياسية، و كذلك الحياة اليومية الذاتية لابن زيدون. وضحت هذه الدراسة الدور الكبير لابن زيدون في بناء التراث الأدبي العربي على الطراز الأندلسي المحلي. هذا التقليد الأدبي يتمتع بجودة أدبية لا تقل عن الأدب العربي في قلب الحضارة العربية. وحصل هذا البحث على تقاليد الأدب العربى لابن زيدون، و الذي يتكون من أشعار المدائح والتهاني و الغزل و الرثاء و النثر من رسالة الجدية والهزلية.

المراجع

Ad-Dayah, M. R. (2000). *Fi al-Adab al-Andalusiy*. Dimasqa: Dar al-Fikri.

Alam, F. N. S., & Hadiyanto, M. (2020). Akulturasi bahasa Arab terhadap kemajuan sains di Andalusia. in *Trends and Future Perspectives on Arabic Education, Linguistics, Leterature, Culture, and Translation*. Jakarta: MUNASBA, Multaqa Nasional Bahasa Arab.

Alghamdi, H. & Meguellati, A. (2020). Studying history in an Islamic context and its effects on student awareness: A case study of muslim students at Saudi Universities. *Journal of Al-Tamaddun* 15(2), 1-13. https://doi.org/10.22452/JAT.vol15no2.1.

Asriyah. (2016). Perkembangan sejarah sastra Arab. *Rihlah*, *5*(2), 91–99. https://doi.org/10.24252/rihlah.v4i2.2834

Bacich, D. (2002). The Cambridge history of Arabic literature: The literature of Al-Andalus ed. by María Rosa Menocal, Raymond P. Scheindlin, Michael Sells. *Comitatus: A Journal of Medieval and Renaissance Studies*, *33*(1), 210-213. https://doi.org/10.1353/cjm.2002.0024

Damono, S. D. (2006). Pengarang, karya sastra dan pembaca. *LiNGUA: Jurnal Ilmu Bahasa Dan Sastra 1*(1), 22-37. https://doi.org/10.18860/ling.v1i1.540.

Dhaif, S. (1119). *'Ashr ad-duwal wa al-imarat al-Andalusiyah*. Ath-Thab'ah ats-Tsalitsah. Qahirah: Dar al-Ma'arif.

Farhat, Y. (1994). *Diwan Ibn Zaidun*. Ath-Thab'ah Ats-Tsalitsah. Beirut: Dar-Al-Kitab Al-'Arabi.

Francomano, E. (2002). The literature of al-Andalus. The Cambridge history of Arabic literature (review). *La Corónica: A Journal of Medieval Hispanic Languages, Literatures, and Cultures*, *31*(1), 188-191. https://doi.org/10.1353/cor.2002.0019

Ghazali, ‘A. M. (2004). *Mashadir dirasat Ibn Zaidun*. Kuwait: Mu’assasah Ja’izah Abd al-Aziz Sa’ud Al-Babathain li Ibda’ Asy-Syi’ri.

Hidayah, N. (2013). Sejarah sastra Arab di Andalusia. *Jurnal CMES*, *6*(2), 210-220.

Hidayah, N. (2017). Sejarah sastra Arab di Andalusia. *Jurnal CMES* 6(2), 210-220. https://doi.org/10.20961/cmes.6.2.11716

Kailani, K. & Abd Ar-Rahman, K. (1932). *Diwan Ibn Zaidun*. Misr: Musthafa Al-Bab Al-Halabiy Wa Awladuhu.

Maturedy, F., Wildana, W., & Maimunah, I. (2021). Al-munāẓarah al-‘ilmiyyah bi al-lugati al-‘Arabiyyati aṡnā’ intisyār Kaufīd-19: Hal hiya mumkinah?. *ALSUNIYAT: Jurnal Penelitian Bahasa, Sastra, Dan Budaya Arab, 4*(1), 58–71. https://doi.org/10.17509/alsuniyat.v4i1.32075

Mukhtar, T., Ghazi & Asyqar, I. (2002). *Al-adab al-jahili: Qadhayahu, wa aghradhuhu, a’lamuhu, fununuhu*. Dar al-Fikri.

Murata, S. & Chittick, W. C. (2005). *The vision of Islam*. Yogyakarta: Suluh Press.

Prince, C. (2002). The historical context of Arabic translation, learning, and the libraries of medieval Andalusia. *Library History*, *18*(2), 73–87. https://doi.org/10.1179/lib.2002.18.2.73

Samsir. (2009). Abdurrahman Al-Nasir (Studi atas peranannya dalam pengembangan ilmu pengetahuan di Andalusia). *Dinamika Ilmu: Jurnal Pendidikan*, *9*(2). https://doi.org/10.21093/di.v9i2.286

Sarifah. (2020). Analisis iqtibās dalam syair Ibnu Jabir Al Andalusia. *ALSUNIYAT: Jurnal Penelitian Bahasa, Sastra, dan Budaya Arab* 2(2), 137-148. https://doi.org/10.17509/alsuniyat.v2i2.24831.

Siregar, L. H. (2013). Andalusia: Sejarah interaksi religius dan linguistik. *MIQOT: Jurnal Ilmu-Ilmu Keislaman, 37*(2), 260-271. https://doi.org/10.30821/miqot.v37i2.93.

Wargadinata, W. (2008). Tradisi Arab di masa Nabi: Dalam perspective teori change and continuity. *El-HARAKAH*, *5*(2), 47-68. https://doi.org/10.18860/el.v3i2.5142

Wargadinata, W. & Maimunah, I. (2021). The social events and the development of Arabic language in the early period of Islam. *Al-Turas,* 27(2), 315–28. https://doi.org/10.15408/bat.v27i2.20510.

Wargadinata, W. & Laily Fitriani. (2008). *Sastra Arab dan lintas budaya.* UIN-Maliki Press: Malang.

Wargadinata, W. (2007). Dilema konsep sastra. *LiNGUA: Jurnal Ilmu Bahasa Dan Sastra* 2(1), 46-58. https://doi.org/10.18860/ling.v2i1.556.

Widyahening, E. T. & Nugraheni, E. W. (2016). Literary works and character education. *International Journal of Language and Literature, 4*(1), 176–180. https://doi.org/10.15640/ijll.v4n1a20